عمران
للدراسات الاستراتيجية
OMRAN
For Strategic Studies

مآلات الحراك القائم في السويداء

ورقة استشرافية
مسار السياسة والعلاقات الدولية

مركز عمران للدراسات الاستراتيجية

مؤسسة بحثية مستقلة ذات دور رائد في البناء العلمي والمعرفي لسورية والمنطقة دولةً ومجتمعاً وإنساناً، ترقى لتكون مرجعاً لترشيد السياسات ولرسم الاستراتيجيات.

تأسس المركز في تشرين الثاني/نوفمبر 2013 كمؤسسة بحثية تسعى لأن تكون مرجعاً أساساً ورافداً لصنّاع القرار في سورية والمنطقة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. يُنتج المركز الدراسات المنهجية المنظّمة التي تساند المسيرة العملية لمؤسسات الدولة والمجتمع، وتدعم آليات اتخاذ القرار، وتحقق التكامل المعلوماتي وترسم خارطة الأولويات.

تعتمد أبحاث المركز على الفهم الدقيق والعميق للواقع، ينتج عنه تحديد الاحتياجات والتطلعات ممّا يمكّن من وضع الخطط التي يحقّق تنفيذها تلك الاحتياجات.

الموقع الإلكتروني www.OmranDirasat.org
البريد الإلكتروني info@OmranDirasat.org

تاريخ الإصدار 16 أيلول/ سبتمبر 2015

جميع الحقوق محفوظة © مركز عمران للدراسات الاستراتيجية

مقدمة

تعود محافظة السويداء بعد اغتيال الشيخ وحيد البلعوس إلى المشهد السوري من جديد، بحراك ثوري ضد نظام الأسد، يدفعه إدراك جمعي لأهالي المدينة بالمسؤولية المباشرة للنظام عن تصفية شيخ الكرامة [1]، ما أدى لانتفاضة شعبية قادها الأهالي من جهة ورافقها فعل عسكري تولاه تجمع مشايخ الكرامة من جهة موازية، الأمر الذي استتبع طرد أجهزة الأمن والمخابرات من المدينة، وإعلان الأخيرة منطقة محررة من نظام الأسد، الذي اكتفى بخطوات إعلامية تقليدية لتبرير الحدث، وبعض الإجراءات الاحترازية كقطع طريق دمشق السويداء وحجب الإنترنت عن المدينة، التي خيَّم عليها هدوء حذر مفتوح على كل الاحتمالات.

وبالنظر إلى المشهد بكليته، فإن حالة الحياد الذي سعت إليه السويداء منذ بداية الثورة السورية، إضافة للكتلة الدرزية التي تسكنها وامتدادها الديموغرافي في العاصمة دمشق وما يمثله ذلك من تهديد مباشر للنظام على المستوى المحلي من جهة، والخصوصية الطائفية التي تتمتع بها وما قد توفره من مداخل للضغط الدولي من جهة أخرى؛ تجعل السويداء كمحافظة تحظى وفقاً للظروف الذاتية والموضوعية بجملة خيارات أوسع منها في باقي المدن والمحافظات السورية التي اختبرت نفس الموقف منذ خمسة أعوام دونما خيار إلا المواجهة المباشرة مع نظام الأسد، والذي بالمقابل قد تدفعه طبيعته الأمنية والشمولية لتجاوز كل تلك الاعتبارات الخاصة بالمحافظة، لتبقى السويداء اليوم أمام مروحة من السيناريوهات المحتملة.

وبناءً عليه تحاول هذه الورقة استشراف المآلات المحتملة لسياق الحراك القائم في مدينة السويداء، وفقاً لما تتمتع به المحافظة من خصوصية طائفية وجغرافية، وما يحيط بها من تفاعلات عسكرية متعددة الأطراف، إضافة لأدوات الفاعلين الدوليين والإقليميين التي قد تطرأ في هذا الملف، لتتراوح هذه المآلات من الإدارة الذاتية إلى صدام مسلح مع النظام أو استجرار لمواجهة مباشرة مع تنظيم الدولة "الإسلامية"، مقابل احتمالية الانقسام الداخلي في الكتلة الدرزية.

أولاً: الإدارة الذاتية

لا تعد الإدارة الذاتية خياراً جديداً بالمعنى الوظيفي على محافظة السويداء، حيث أن ما سعت إليه مجموعة مشايخ الكرامة كان محاولات لامتلاك جزء من القرار السيادي لأبناء المحافظة، سواء على مستوى منع الشباب الدرزي من خدمة العلم في صفوف جيش النظام، أو إزالة بعض الحواجز الأمنية داخل أجزاء معينة من المدينة وإخراج جزء من الجبل عن سيطرة النظام وتولي إدارته وحمايته.

[1] شكّل البلعوس في بداية عام 2014 تجمّع "مشايخ الكرامة" مع مجموعة من مشايخ الطائفة الدرزية الشباب في السويداء دون منافسة مشيخة عقل الطائفة أساساً أو أخذ مكانها، بل كان التجمّع يهدف إلى تنسيق جهود المشايخ الشباب في الطائفة الدرزية، لحماية أبناء محافظة السويداء من أي اعتداءات من تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش)، أو الفصائل المنتشرة في محيط المحافظة أو انتهاكات من قبل قوات النظام المنتشرة داخلها. وتطوّر الأمر فيما بعد إلى حماية التجمّع لشباب محافظة السويداء من إجبار النظام لهم على الخدمة الإلزامية في صفوف قواته.

ووفقاً لطبيعة الحراك القائم وخصوصية المحافظة الجغرافية والطائفية، تبدو الإدارة الذاتية الخيار الأقرب في المدى المنظور، وذلك لتوافر عوامل عدة قد تهيئ لذلك لعل أبرزها:

- تمثل الإدارة الذاتية ضمن الظرف القائم للثورة السورية والحراك الحالي في السويداء، الحالة الوسطية التي تنشدها أغلب الكتلة الدرزية في **تحييد** المحافظة عن الحرب الدائرة، والتي ينظر إليها الأغلبية كمعركة بين ثنائية طائفية [2].
- يؤمن هذا الخيار للسكان المحليين والمجموعات المسلحة ضمن المدينة تحييد المحافظة على الأقل عن استغلال النظام الذي سعى وما يزال للدفع بها في صراعات متعددة الأطراف بما يخدم مصالحه، وهذا ما أكده الزعيم الدرزي ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي، وليد جنبلاط عقب اتهامه نظام الأسد باغتيال البلعوس، فقد صرح بأنه "لا مانع من خضوع السويداء لإدارة الذاتية لوقف استغلالها من طرف النظام".
- إن طبيعة الظرف المضطرب سيجعل من هذا الخيار **حاجة أو ضرورة** في هذه الفترة، لما سيمثله من مرحلة انتقالية يحتاجها النظام قبل السكان المحليين لإعادة ترتيب الأوراق وفقاً للظرف الجديد.
- إن شكل الحراك القائم وما قد يترتب عليه من مآلات وخيارات مفتوحة، قد يدفع النظام لتقديم تنازلات في سبيل احتوائه، ولعل أولها قبوله بالإدارة الذاتية بالحدود التي لا تشكل ارتداداتها خطورة كبيرة عليه بقدر نتائج الخيارات البديلة كالصدام المسلح أو غيره.

كما أن خيار الإدارة الذاتية في حال تم تطبيقه فإنه يأتي في أحد سياقين:

أ. **بشكل توافقي غير رسمي:** بين النظام من جهة واللجان الممثلة عن الحراك القائم من جهة أخرى، ولكن بصيغة **غض الطرف**، أي أن أهالي السويداء سينظمون أمورهم الإدارية والمعيشية والأمنية ويسعون لانتزاع سيادة معينة للمحافظة، مقابل تغاضي من قبل النظام، في حال لم تمسسه تلك الاستقلالية الإدارية.

ب. **سياق المفاوضات الرسمية:** قد يأتي خيار الإدارة الذاتية عبر مفاوضات مباشرة بين ممثلي الحراك (أعيان المدينة ومشايخها) والنظام، تلك التي سيدفع لها الأخير لاحتواء ارتدادات الاحتجاجات، وقد تفضي إلى تحديد شكل تلك الإدارة مقابل مطالب محددة للنظام، كعودة شكلية لمؤسسات الدولة غير الأمنية وتمركز الأمني منها خارج حدود المدينة، أو غيرها من الشروط التي ستمثل موضوع التفاوض.

وإذ تبدو الإدارة الذاتية الشكل الأقرب للطرفين في هذه المرحلة الحذرة؛ إلا أنها ومن المؤكد ليست الخيار الدائم على الأقل بالنسبة للنظام، الذي لن يترك المحافظة على المدى الطويل لتقدم نموذجاً في الخروج عن سلطته، مقابل إدراك ثوار المدينة أن هذا الخيار هو الأنسب وسط عدم نضوج البدائل واستمرارية السعي في البحث عنها، لذلك ستمثل الإدارة الذاتية مرحلة انتقالية لأخرى تليها، ويحدد شكلها وفقاً للمتغيرات الطارئة على المشهد.

[2] انظر: كلمة للشيخ وحيد البلعوس يوضح من خلالها أساس الخلاف مع نظام الأسد، ويؤكد على حالة الحياد التي يسعى إليها الدروز من خلال حماية محافظتهم.
https://www.youtube.com/watch?v=hHIyrRZNxFo

ثانياً: الصراع مع النظام

تتمتع محافظة السويداء بمجموعة من العوامل التي قد تدفع عنها خيار الصدام المسلح مع النظام، إضافة لإدراك الأخير لخطورة أي عمل عسكري تجاه المحافظة والارتدادات المصاحبة له؛ **ما يجعل هذا الخيار يبدو مستبعداً على الأقل في المدى المنظور، نتيجة لعدة أسباب لعل أبرزها:**

1. تجنُب النظام فتح جبهة عسكرية جديدة تبعد عن دمشق 100 كم، ما ينذر بتهديده وربما خسارة الخاصرة الجنوبية للعاصمة.
2. الدخول في صراع مسلح ضد الكتلة الدرزية في محافظة السويداء يعني تحريك بؤر ديموغرافية قد تتحول لعسكرية في عدة مناطق حيث امتداد الطائفة، وأهمها تجمعات الدروز في العاصمة دمشق (جرمانا، صحنايا).
3. إدراك النظام أنه وفي حال اتخاذ هذا الخيار فإن المواجهة العسكرية لن تقتصر على مدينة السويداء، وإنما ستمتد إلى كامل المحافظة، وتحديداً الريف الغربي منها، ما يهدد أهم مطارات النظام وبعض القطع العسكرية الحيوية هناك؛ (مطار الثعلة العسكري، مطار خلخلة العسكري، الفرقة 15).
4. قد لا يدفع الخيار المسلح المحافظة للخروج عن سيطرة النظام وحسب، وإنما قد يجبرها على التنسيق مع قوات المعارضة في درعا والقنيطرة، ما سيشكل كتلة عسكرية من ثلاث محافظات في وجه النظام.
5. إن مهاجمة السويداء عسكرياً سيستتبع ضغطاً دولياً متعدد الأطراف، وذلك نتيجة لخصوصية كتلة الموحدين الدروز كأقلية في سورية، وما ستثيره من مداخل للضغط الدولي والإقليمي على نظام الأسد.
6. إن أي تحرك عسكري من قبل قوات النظام تجاه الكتلة الدرزية في السويداء أو غيرها من مناطق انتشارها، سيؤدي إلى خسارة النظام للشكل الوهمي، الذي يسعى خلال الأعوام الماضية لتقديم نفسه به وهو "حماية الأقليات".
7. احتمالية بروز انشقاقات "درزية" أخرى عن الجسد الأمني والعسكري للنظام.

وعلى الرغم من إحاطة النظام بكل ما ذكر سابقاً ووعيه بخطورة الخيار العسكري ضمن المحافظة؛ إلا أنه وبالوقت نفسه لا يمكن ضبط تصرفاته، فمن يغتال وحيد البلعوس في هذا الوقت لابد وأن يكون مدركاً لمآلات العملية وارتداداتها، وبالتالي مستعداً لمختلف الاحتمالات وأحدها العسكري.

ثالثاً: مواجهة تنظيم الدولة

يتمركز تنظيم الدولة "الإسلامية" شرق وشمال شرق محافظة السويداء، والتي وصلها إثر سقوط مدينة تدمر وتسهيل النظام تمدده نحو الجنوب، والاحتفاظ به كورقة مؤجلة، ربما يكون قد حان الوقت لاستثمارها، خصوصاً **وأن خيار المواجهة مع مجموعات مشايخ الكرامة المسلحة ضمن المدينة في حال تصعيد الحراك مستبعد وفقاً لما ذكر سابقاً، ما قد يدفع النظام لخلق ظروف تسهل هذه المهمة لطرف آخر**، والمرشح الأول لذلك هو تنظيم الدولة " الإسلامية" من خلال تسهيل مروره لبعض أجزاء المحافظة عبر البادية، خاصةً أن هذه الخطوة إن تمت، **فإنها تعود بالفائدة الأولى على النظام لما تحقق له من مكاسب، لعل أبرزها:**

1. إنهاك المحافظة عسكرياً وأمنياً، وتحديداً المجموعات المسلحة التابعة لمشايخ الكرامة، والتي تنتشر في المدينة وأجزاء من الريف وتتكفل بحمايتهما.
2. تحويل دفة الحراك الشعبي واحتمالية الصراع العسكري من جهة النظام إلى تنظيم الدولة "الإسلامية".
3. إعادة تأهيل النظام محلياً ودولياً بما يخص حماية الأقليات، فعلى المستوى المحلي قد يجبر تقدم تنظيم الدولة تجاه المحافظة، بعض أبناء ومشايخ الطائفة على طلب التدخل المباشر من النظام، وفي حال استجاب فإنه سيعيد طرح نفسه دولياً "كحامي للأقليات".

وبمقابل ما قد تعود به المواجهة المسلحة بين أهالي السويداء وتنظيم الدولة "الإسلامية" من مكاسب لنظام الأسد في هذا الوقت بالذات، إلا أن ما يترتب عليها من نتائج ضده لا تقل خطورة، خاصةً أن هذا الصدام في حال وقع، سيعزز خيارات بديلة لن تصب في صالح النظام، وأهمها:

- ستمثل السويداء مدخلاً مؤجلاً لتدخل دولي محتمل (لوجستي، سياسي، عسكري) سواء من جهة المملكة الهاشمية أو دولة الاحتلال الإسرائيلي، الأردن الذي ناشده ومازال بعض من رموز الطائفة الدرزية للتدخل والحماية في حال تعرضت السويداء لأي هجوم من قبل تنظيم الدولة "الإسلامية" [3]، وإسرائيل التي تضم عدداً كبيراً من أبناء الطائفة في جيش الدفاع وكتلة شعبية واسعة بدأت تشكل ضغطاً على الحكومة الإسرائيلية منذ تقدم تنظيم الدولة إلى تخوم المحافظة [4].

[3] انظر: رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني، وليد جنبلاط طالب العاهل الأردني، عبد الله الثاني، بتوفير الحماية للدروز في محافظة السويداء من سطوة "داعش".
http://www.eremnews.com/politics/arab-politics/301809

[4] انظر: مشايخ الطائفة الدرزية في فلسطين يسعون للضغط على الحكومة الإسرائيلية لإيجاد مخرج لأخوتهم في السويداء في حال تعرضت المحافظة لهجوم من تنظيم الدولة.
http://www.i24news.tv/ar/أخبار-middle-east/74850-150614/

- هذا الخيار قد يدفع بقوات المقاومة الوطنية للاشتراك مع أهالي السويداء في القتال ضد التنظيم الذي يمثل العدو المشترك، خصوصاً وسط سعي المعارضة السورية لتلقف أي فرصة وكسب هذا الحراك لصالحها، ما قد يؤدي لتنسيق مرحلي بين الطرفين يبدأ ضد تنظيم الدولة وربما ينتهي تجاه النظام.

خريطة السيطرة والنفوذ لمحافظة السويداء وما حولها 14 أيلول 2015

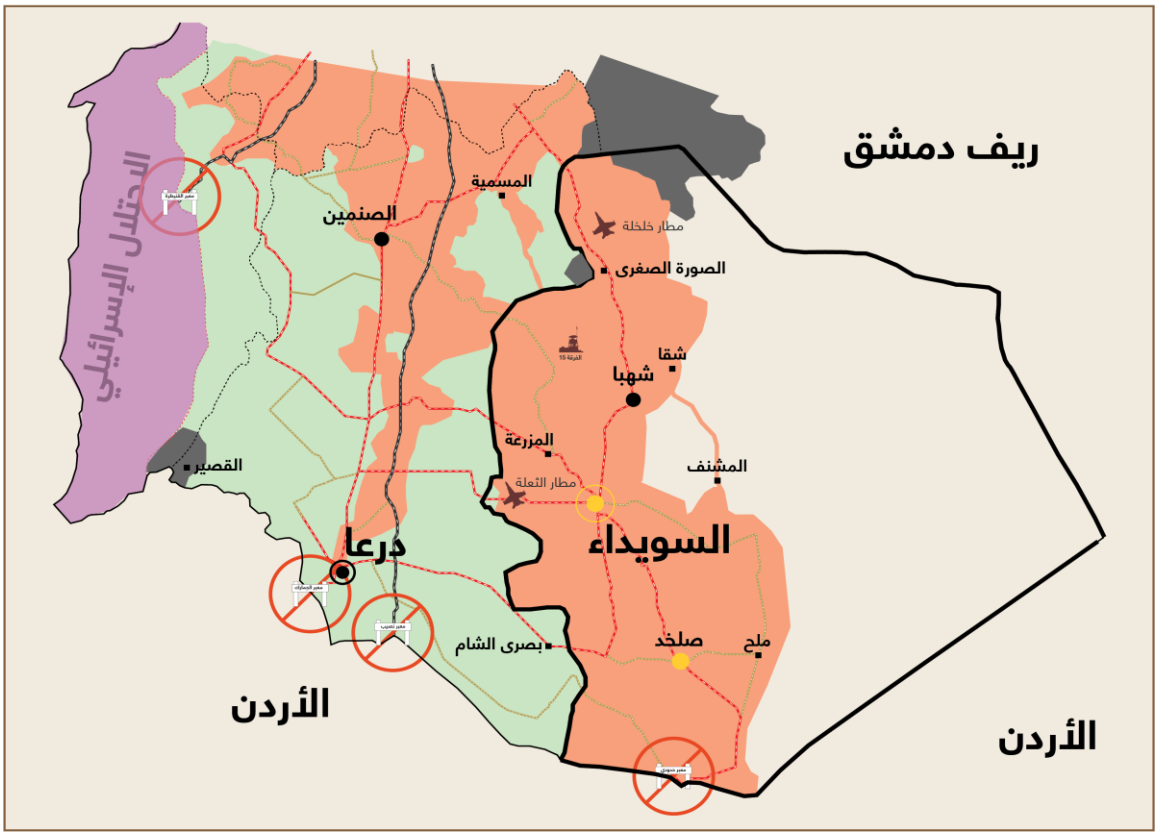

أماكن نفوذ وانتشار فصائل المعارضة "الجيش الحر - فصائل إسلامية مُستقلة"

أماكن نفوذ وانتشار المجموعات الدرزية المُسلحة

أماكن نفوذ وانتشار تنظيم "الدولة الإسلامية"

أماكن نفوذ وانتشار النظام والميليشيات الموالية له

رابعاً: صراع داخلي

وإذ يبدو التواجد الأمني للنظام معدوماً في مدينة السويداء إلا أن مؤيديه متواجدون وبكثرة من أبناء المحافظة والمليشيات التي سعى إلى تشكيلها من شباب الطائفة خصوصاً بعد تقدم تنظيم الدولة؛ ما سيجعل استثمارهم وتهيأتهم للوقوف في وجه أخوتهم من المعارضين خياراً محتملاً سيلجأ إليه النظام، الأمر الذي قد يؤدي إلى إحداث انقسام داخلي قد يتطور بمستوياته ليصل إلى صراع مسلح، يهدف النظام من خلاله لحرف بوصلة الحراك القائم عبر إحداث شرخ داخل الكتلة الدرزية موكلاً لحلفائه الدروز في لبنان (كطلال أرسلان ووئام وهاب) مهمة تعزيز مناخات الانقسام الداخلي في السويداء.

ولعل هذا الخيار الذي نجح فيه النظام في أغلب المحافظات السورية ومع مختلف مكونات المجتمع السوري، قد يفشل فيه إسقاطاً على الواقع الدرزي الذي يلي رابطة الدم أهمية قد تدفعه لتجنب أي انقسامات ويساهم في ذلك عدد من العوامل:

- إن مركزية القرار ضمن الطائفة الدرزية وانصياعه بالعموم للمرجعيات الدينية من مشايخ العقل، قد تساهم بشكل أو بآخر في نبذ التشتت ودرء أي انقسام محتمل، و هنا لا يمكن إنكار أن النظام استطاع استمالة بعض رجال الدين وحاول خلق اصطفاف (مشايخ العقل مقابل مشايخ الكرامة)، إلا أن ذلك لا يمنع من أن الدروز قد يتجاوزون تلك الانقسامات في الوقت الحالي، خاصة إذا استرجعنا مواقف بعض مشايخ العقل ممن رفض البلعوس ووقف ضد حركته وبحثنا فيه لأدركنا؛ **أن رفض هؤلاء المشايخ ليس للحالة شبه السيادية التي خلقها الشيخ وحيد ضمن السويداء ورفضه لنظام الأسد، وإنما خوفاً على مناصبهم الدينية التي بدأت شعبية البلعوس تهددها، فحتى وإن بدا الخلاف واضحاً بين الطرفين، إلا أن مشايخ العقل كانت تشكل لهم حركة الشيخ وحيد نوعاً من الأمان والحماية للطائفة بقدر ما تمثله من تهديد على المستوى الشخصي** . واليوم برحيل البلعوس زال التهديد المفترض وبقيت الحالة التي أورثها، والتي سيستفيد منها هؤلاء المشايخ ويتمسكون بها.
- إن مشايخ العقل ممن قد يستميلهم النظام لم يستطيعوا أن يقفوا في وجه حركة مشايخ الكرامة عندما ضمت المئات، فكيف يقفون بوجهها اليوم في الوقت الذي باتت حراكاً شعبياً عصبه الأساسي الشباب، وسط احتمالية عبور الاحتجاجات من المدينة إلى الريف، ومن المؤكد أن **هؤلاء المشايخ لا تنقصهم الحنكة السياسية لاستثمار الحراك وتطويعه لصالحهم**، حيث يدركون أن معاداتها ستخسرهم ما بنوه خلال عشرات السنين.
- فرصة الاستفادة من عثرات وسلبيات تجارب الحكم المحلي في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام، ما قد يحفزهم على تقديم نموذج ناجح ومتماسك يتجاوز أيضاً أخطاء من سبقهم في المحافظات الأخرى على كافة الصعد (الإدارية، السياسية، العسكرية).

خاتمة

على الرغم مما يشكله الحراك القائم في السويداء بمختلف سيناريوهاته ومراحله من خطورة على نظام الأسد، إلا أنه يقرأ باتجاه مختلف تماماً كسياق قد يكون النظام سعى إلى خلقه ثم استثماره، حيث أن البدء بإخراج المحافظة من عباءة السلطة في هذا الوقت بالذات، إنما ينذر بتلويح الأسد بورقة التقسيم وفقاً لمحددات طائفية من جهة، وما يطمح إليه الإيرانيون من التحكم في "سورية المفيدة" التي لا تشمل السويداء من جهة أخرى، لذلك قد تكون خطوة الاغتيال تمهيداً لإشعال السويداء بهدف الإيحاء بأن أهلها انتزعوها بالدم وهم من رسَموا حدودها وليس النظام، الذي لا يمكن له أو لإيران أن يبادرا بقرار التقسيم بقدر ما يستطيعا التحريض والدفع باتجاهه.

ومقابل كل ذلك فقد خلق الحراك الثوري في السويداء هامشاً جديداً للمعارضة السورية للتحرك من خلاله، وذلك عبر كسب مكون جديد وأساسي في تركيبة المجتمع السوري إلى صفوف معارضة النظام، وإخراج العمل العسكري ضد نظام الأسد من الثنائية الطائفية التي سعى ومازال النظام إليها، إضافة لعرقلة أي مشاريع محتملة للتقسيم على أساس طائفي، ما يتطلب خطوات سريعة من المعارضة السياسية على الأرض وأخرى عسكرية لقوى المقاومة الوطنية وتحديداً الجبهة الجنوبية من خلال توجيه خطاب متزن يبدد هواجس الكتلة الدرزية ويقربها من مكانها الطبيعي ضمن الثورة السورية ضد نظام الأسد، الذي اختبره " الدروز" وباتوا على يقين اليوم بأنه هو من يحتمي بهم وليس من يحميهم.

عمران
للدراسات الاستراتيجية
OMRAN
For Strategic Studies

Turkey, Istanbul
Tel. +90 (212) 263 41 74 - **Fax.** +90 (212) 263 41 75
www.OmranDirasat.org - info@OmranDirasat.org